متحدي أينشتين

في الهند

الدكتور السر شاه محمد سليمان

للسيد ابو النصر احمد الحسيني الهندي

— ١ —

ليس اهل الشرق ممن لم يفض عليهم القدر سجال عرفه من عبقرية وذكاء وحصافة وبصيرة كما أفاض على الغرب ، بل نجد كثيرين منهم أوفر حظاً وأعلى مكانة فيها من امثالهم في الغرب. غير انهُ ينقصهم التربية الصالحة والظروف الموفقة . فكم عبقري فيهم سلكت عليه التربية الغير الصالحة مذاهبها، وكم نابغة صالحة من الذكاء المتوقد يئدهم قتلها الظروف قبل ان تنضر وتثمر وكم يرعوم وضيء من الجذق الحاد أذبلتهُ عواصف الحال قبل ان يتفتح ويفوح

على أن الشرق مع ذهاب التربية الصالحة وفقدان الظروف الموفقة ، ومع ما جلَّ ساحته من مكروه الرق ، وتكاثف لديه من مضض العبودية ، فاصطلحت عليه أعاصير الحياة ونزلت به آلام البؤس ، فأضحت القوى الفكرية والاقتصادية فيه ضاربة الاطناب محتلة الجوانب ، مع كل هذه العوائق الصارفة والعراقيل الرادعة استطاع ان ينجب غير واحد من العبقري والذكي والحصيف والبصير ، سبَّاقي الغايات مدركي النهايات ، حازوا شأو السبق في حلبات العلم والادب ، وأحرزوا فوز القضان في شؤون الاجتماع والسياسة ، فبلغوا في قلوب الشعوب بهِ مكانة لا يستباح ذمارها ، ونالوا في محافل العلم عزة لا يهضم جانبها

لسنا بصدد ان نستقصي لك مناقب هؤلاء فخر الشرق وذخره جميعاً . ولا ان ندلك على مواضعهم من حدة الذكاء واحداً واحداً ، ولا ان ننبهك على موقعهم من سمة العلم فرداً فرداً ، ولا ان نُعلمك عشيرهم من قوة البصيرة أُحاد أُحاد . فانهُ امر بعيد المتناول منيع المطلب بموزه المجلدات الضخمة ، فكل جزء من الشرق قد أنجب غير واحد من هؤلاء الرجال العظام ، والشرق واسع الارجاء ، مترامي الاطراف أتى بالنعم والرمم منهم من الزمن الغابر الى العصر الحاضر

غير اننا سنتحدث اليك اليوم عن عبقرية برزت اخيراً في احد اجزاء الشرق وأبأسها الذي رماه

الزمان بسهامه وصدمه بكلكله، فابتهُ خطوب السودية ونخرمتهُ بوائق الرق ،فشيبُ غنم المستبد واخفاء حيف المستعمر، فدس على ابنائه عقاربه ، وأرسل بينهم نيازبه ، فأفسد ذات بينهم وزرع البؤس فيهم فزادت احزانه ، وكثرت اشجانه ، وتتابعت همومه وتراكمت غمومه ، ألا وهو الهند

لقد استطاعت الهند ، بصرف النظر عن ماضيها الزاهر ، ان تنجب في العصر الحاضر وفي مثل تلك الاحوال السيئة شخصيات بارزة عديدة في ميدان الاجتماع والسياسة ، وفي حلبة العلم والادب . فلا تحسبك تحتاج الى ان نحادثك عن غاندي ، وطاغور ، واقبال ، وبوز ، ورامان ، وتهور ،ومحمد علي ، واجمل خان، والانصاري، وشبلي ، وراي، وسروجيني نائيدو وبيكشاه نواز اذا كنت من متتبعي الحركات العلمية والادبية والاجتماعية والسياسية في الشرق، وممن ينشون أندية العلم والادب ، ومحافل الاجتماع والسياسة فيه ويلفون سمعهم وعمشهداء الى ما يطاب فيها نشره ويجمل ذكره. وعليه فقد تكون بلغت تلك الاسماء مسامعك غير مرة لانها مفخرة الهند وعجوم لامعة في سماء الشرق ولكننا نظن ان ليس ابو الكلام احمد ، وشاه محمد سليمان الى الآن سمع أذنيك

اما الاول فهو من كبار حملة العلم وأهم دعائم الوطنية في الهند وأرسخهم في العلوم القديمة الاسلامية والحديثة الاجتماعية وأرجحهم سداداً وأفضلهم ذكاء ، وأبرعهم كتابةً وأصقعهم خطابةً باللغة الاردية . لسانه أرق من ورقة وألين من سرقة [1] . اذا كتب وضع الماء مواضعَ السكب ، واذا خطب فلّ الحزّ وأصاب المفصل . ونحن سنحبر عن مآثره في العلم والادب ومعالمه في السعي لتحرير الوطن في فرصة أخرى اذا وفقنا الله تعالى لذلك

أما الثاني وهو الذي نحن بصدده فهو امام في علوم الفوانين لا يدرك شأوه وحجة في علوم الرياضة لا يشق غباره . وما يهجم من مظاهر عبقريته دفعة ، ويأتي من نشاطه ما يملأ العين غرابة هو انهُ مع كثرة واجباته ووفرة اشغاله ، إذ يتقلد مناصب حكومية واجتماعية وعلمية عديدة كما ستعلم فيما بعد ، استطاع ان يشتغل بأهم العلوم دقةً وأكثرها صعوبةً اشتغالاً علميًّا حقيقيًّا لا يقدح فيه اخلاصه ولا يطعن عليه صدقه . فأنتج به انتاجاً وأبدع فيه ابداعاً حيث أتى في عالم العلم بنظرية شهدت لهُ بالذهن المتوقد والبصيرة النافذة ، ودلت على منزلته من سعة الشرح وقوة الحجى ، إذ أخذت نظرية العلامة اينشتين في النسبة ونقضتها فاستوقفت انظار كبار العلماء الرياضيين والطبيعيين في العالم وملكت أفكارهم وتناولت خواطرهم ونالت اعجابهم . وقبل أن نتحدث اليك عن تلك النظرية يجدر بنا ان نزف اليك ترجمة حياة صاحبها بالايجاز لنحيط بمكانه من حدة الذكاء ، وموضعه من بسطة العلم ، ومبلغه من علو الثقافة خبراً

نحدر صديقنا المفضال الدكتور السر شاه محمد سليمان عن سلالة كريمة ، لها المجد المؤثل

(١) أي من الحرير

والشرف الموروث ، لان رئيسها الاعلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ولذلك فبينه في الهند شهير الاثر علماً ومعلوم المفاخر أدباً ، محير احد رؤسائه بلاد العرب ونواض دهلي — حاضرة الهند الاسلامية — في عهد السلطان علاء الدين الخلجي [1] فلما أغار تيمورلنك على الهند وذهب دهلي في سنة ١٣٩٨ م انتقلت الاسرة من دهلي الى بلدة جونفور . ومن جونفور برزت شخصية احد أجداده القريبين له في العلوم والمعارف وهو الفقيه العلامة مُلا محمود الجونفوري المتوفي سنة ١٠٦٢ هـ الذي كان حاد الذهن متضلعاً من العلوم العقلية والرياضية والفلسفية ومن جهابذة اهل النظر فيها في عصره حيث أشير اليه بالبنان وشدت اليه الرحال وله في الفلسفة والحكمة والعلم والادب كتب نفيسة عديدة أهمها وأشهرها « الشمس البازغة » . وهذا نبوغ صديقنا الفاضل شاه محمد سليمان في الحقيقة مثال للنبوغ الوراثي

ولد شاه محمد سليمان في سنة ١٨٨٦ ميلادية في جونفور وكان والده شاه محمد عثمان رحمة الله من المحامين الاذكياء الشهيرين فيها وعالماً بارعاً وشاعراً فوطن على تربية اولاده وتعليمهم تعليماً وقام به أتم قيام . كان شاه محمد سليمان من نعومة اظفاره مرهف الذهن حاد الذكاء فاجتاز مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي في أقل مدة ونال شهادة Matriculation في سنة ١٩٠٢ من جامعة الله آباد [2] فكان رابعاً في الجامعة على حسب ترتيب الجدارة بين الناجحين في الدرجة الاولى . ثم انتظم في الكلية للتعليم العالي ونجح في امتحان Intermediate في سنة ١٩٠٤ فكان ثانياً في الجامعة على حسب ترتيب الجدارة بين الناجحين في الدرجة الاولى . ثم نال شهادة B.A. في العلوم الرياضية في سنة ١٩٠٦ فكان اولاً في الجامعة قاطبة على حسب ترتيب الجدارة بين الناجحين في درجة الشرف . فاستحق به ميدالية « اقبال » الذهبية من الجامعة ومساعدة من الحكومة للاستزادة في العلوم وتيسير المراد منها وولاء البحث فيها بجامعة كمبردج

في سنة ١٩٠٧ سافر شاه محمد سليمان الى انجلترا ودخل جامعة كمبردج ونال منها في سنة ١٩٠٩ شهادة M.A. في العلوم الرياضية العليا بدرجة الشرف ، وفي سنة ١٩١٠ شهادة LL.B. في علوم القوانين بدرجة الشرف من نفس الجامعة . وفي ١٩١٠ ايضاً حاز شهادة المحاماة Barrister at Law من جامعة لندن . وفي سنة ١٩١١ شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة دبلن . والله قد أضفى عليه ذكاء حاداً يغوص أعمق الامور بسهولة ، وفكراً ثاقباً يخترق السجف الستور بسرعة حيث أصبحت له أصعب العلوم كالرياضيات أطوع من بنانه فما شابهها مثل

(١) تولى الامر في الهند من سنة ١٢٩٥ الى سنة ١٣١٦ ميلادية (٢) لايخفى أن اقدم الامتحانات لنيل الشهادات المختلفة في الهند من حق الجامعات ، ولا علاقة لها بالحكومة أو وزارة المعارف كما توهمه بعض

الالعاب الرياضية طبعاً لم تعص لهُ أمراً . وعليه فشاه محمد سليمان من أمهر لاعبي الشطرنج لذلك كانت جامعة كمبردج حين دراسته فيها قد أنابتهُ عنها لمباراة في لعب الشطرنج مع جامعة اكسفورد فناب عنها أحسن مناب

ورجع شاه محمد سليمان في سنة ١٩١١ الى الهند مزوداً بالعلوم والمعارف ومستعدًّا لخدمة الوطن فبدأ يمارس صناعة المحاماة أولاً في مقاطعة جوتفور ثم لدى المحكمة العليا في الله آباد في سنة ١٩١٢ . وفي مدَّة قليلة نال شهرة واسعة لبراعته في القانون ، وسمعة حسنة لاخلاصه في العمل ، فعين في سنة ١٩٢٠ قاضياً منتدباً وهو شاب يناهز ٣٤ . وهذا أمر لم يسبق لهُ نظير فان ذلك السن أقل من المعتاد لتقلد القاضي منصبه في الهند . ثم عين قاضياً مستديماً في سنة ١٩٣٢ . وبعده عين رئيساً منتدباً للمحكمة العليا في الله آباد في سنة ١٩٣٠ ثم رئيساً مستديماً في سنة ١٩٣٢ وفي ١٩٣٧ انتخب قاضياً ممتازاً لمحكمة الاتحاد الهندية Federal Court of India التي أنشئت أخيراً في دهلي عاصمة الهند طبقاً للاصلاحات الجديدة وهي الآن أعلى المحاكم في الهند بأسرها

ما عدا منصب القضاء العالي الدائم هذا وما لهُ من الشأن من جهة اشغاله المتواصلة وواجباته المتتابعة التي تفترس صاحبه غَفَّةً وتقتنصهُ نهزةً وتختطفهُ هُبةً استطاع شاه محمد سليمان ان ينهض في نفس الوقت بأعباء عدَّة مناصب حكومية علمية اجتماعية هامة أخرى لا يشوبهُ خلل ولا يعتريه أوَد ولا يخالطهُ وهن ولا أمت . فقام بمهمة العضوية من قبل الحكومة في لجنة التحقيق في شغب بشاور في سنة ١٩٣٠ ، وفي محكمة الضرائب بلندن في ٣ — ١٩٣٢ كما قام بمهمة الرياسة في اللجان الاقليمية العديدة أحسن قيام

أما مناصبه وأعماله العلمية فهو أحد مؤسسي المدرسة الاسلامية الثانوية في الله آباد وكان رئيساً لها . وشغل سنين سكرتير القسم الداخلي الاسلامي بجامعة الله آباد ، وهو اليوم وكيل الرئيس فيه . وهو عضو هام في المجالس التنفيذية بالجامعة الاسلامية عليگره وبجامعة الله آباد ويجمع العلماء الهندستاني في اقليم أوَدَه . اشتغل منصب المدير بالجامعة الاسلامية بعليگره منتدباً في سنة ٣٠ — ١٩٢٩ . ومنحهُ الاتحاد الجامعي في تلك الجامعة منصب العضو الدائم لطول مدة حياته في سنة ١٩٣٠ وفي سنة ١٩٣٤ منحتهُ نفس الجامعة شهادة الدكتوراه الفخرية في الحقوق اعترافاً بفضله وتكريماً لهُ . وفي أوائل السنة الجارية انتخبهُ المجلس التنفيذي في تلك الجامعة مديراً لها . وعلاوة على كونهِ اليوم مديراً للجامعة الاسلامية بعليگره هو أيضاً رئيس كلية كروسويت للبنات في الله آباد ، وراعي نقابة العلوم الرياضية في الله آباد ، ونائب الرئيس في جمعية العلوم الرياضية بكلكته ورئيس مدرسة مصباح العلوم العربية في الله آباد . ومع ذلك لا يجد فرصة الا وينتهزها ولا نهزة الا ويغتنمها لالقاء المحاضرات العلمية لعامة الناس في المراكز

العلمية مثل جامعة الله آباد وجامعة لكهنؤ ، وجامعة عليگره ، وجامعة بنارس

ومن مناصبه واعماله الاجتماعية العلمية انه يتقلد اليوم منصب الرئيس بصحة الملك ادوار السابع التذكارية في بومباي . وقد رأس مؤتمر مسلمي الهند الاجتماعي في مدراس في سنة ١٩٢٧ ورأس مؤتمر مسلمي الهند التعليمي في اجمير في سنة ١٩٢٨ وكذلك رأس حفلة توزيع الشهادات بجامعة دكا في سنة ١٩٢٩ ، وبالجامعة الاسلامية بعليگره في سنة ١٩٣٤ ، وبالجامعة العثمانية بحيدر آباد في سنة ١٩٣٧ . ورأس ايضاً حفلة اكاديمية العلوم في سنة ١٩٣٤ وحفلة نقابة العلوم الرياضية في سنة ١٩٣٦ وحفلة جمعية علوم الفلسفة بجامعة الله آباد في سنة ١٩٣٧ . وألقى في كل حفلة من تلك الحفلات خطبة علمية بليغة ناسبت مقتضى الحال ، ودلت على رحب المجال ، فأبانت فصاحة لهجته وجزالة منطقه ورصانته على طول باعه في العلوم ورسوخ قدمه في الفنون

على انه ليس مجرد تقلد المناصب العديدة مما يفاس به عظمة الرجل ، ولا بلوغ المراتب السنية مثال لرفعة قدر الانسان وعلو كعبه ، بل كفاءته التي تضطلع بأعباء المناصب ولا تنوء وهمته التي تقوم بالواجبات ولا تأود ، وحصافته التي تصل الحق في اعماق الامور ولا تكدح ودهاءه الذي يشق الطريق بين الخطوب ولا تزيغ ، ولن تجدي هذه المزايا نفعاً اذا لم تكن مصحوبة بالاخلاق السامية في الاعمال والمعاملات ، فان الاخلاق أساس كل فضيلة ورذيلة في العالم ومصدر كل فوز وخيبة في الحياة . فالاخلاق العالية هي التي تبني من تلك المزايا لعظمة الرجل منارة لا يهدم وترفع لها راية لا تنكس ، فتوضح به للناس سبيلا لا يخفى ، وتبين لهم منهجاً لا يضل

وعليه فشاه محمد سليمان ليس ممن بلغوا تلك المناصب العالية ، فصاروا خدودهم للناس صعراً ، ومشوا في الارض مرحاً ، وعلوا من دونهم بالقضاء ، فخاطبوهم القضاء بل هو طيب العشرة محمود الملابسة الغني والفقير ، والرفيع والوضيع ، والمشهور والمغمور ، والخطير والحقير ، لين العريكة دمث الطبع رحب الصدر كريم السجايا لا يخيب آمله ولا يُعدم آمله ولا يحرم سائله . كما هو ذكي لوذعي بصير ألمعي ، أسبقهم جدارة بتلك المناصب غير مدافع وأفضلهم كفاءة لها غير معارض ، صادق العزيمة ماضي الصريمة ، داهية في تصريف الامور الصعبة الانقياد والشديدة الالتواء ، ذو ذوق علمي سليم دقيق النظر يستجلي غوامض العلوم ويستبطن دخائل الفنون ، واسع الاطلاع ، غزير المادة ، حصيف العُقدة بحر في العلوم الرياضية لا يسبر غوره ، سند في علوم القوانين قلّ ان يوجد مثله . وقصارى الكلام انه ذو اوصاف وعبقرية يحق لصاحبها ان يكون مفخرة الارض التي نبت عنها كما هي ايضاً فخر بأن تفتخر به وتتباهى

هذا ما عنّ لنا الآن من سيرة الدكتور السر شاه محمد سليمان صاحب النظرية النسبية الجديدة التي تحدّى بها العلامة آينشتين بايجاز . وموعدنا التحديث عن تلك النظرية المستقبل